بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

السلام على الصديقة الشهيدة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء وعلى أبيها وعلى أمير المؤمنين وعلى بنيها وذريتها وعلى شيعتها

أتحدث[1] باختصار عما يرتبط بمناسبة شهادة الصديقة الطاهرة (ع) بما أرجو أن يكون نافعا، قبل ذلك أقرأ عليكم هذه الرواية من نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) أنه خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الفراغ من دفنه للجسد الطاهر لفاطمة (ع)

تعلمون ما حدث لبنت رسول الله (ص) خصوصا في هذه الفترة وما عانت منه فاطمة (ع)، تصوروا وضع أمير المؤمنين (ع) وهو يرى الإسلام الذي كان من المفروض أن يقيم الناس بالقسط وأن يحررهم من عبادة أي شيء وأي أحد ليكونوا عبيدا لله وحده هذا الإسلام تشوَّه، أنت لو كنت مهتما بالإسلام – وأنت إن شاء الله كذلك– وتعاني لأجله لا لأجل شخصك هنا تعلم أن أمير المؤمنين (ع) كيف كان وضعه، صبرَ وفي عينه القذى وفي حلقه الشجى، وفي هذا الوضع أصيب أيضا بفاطمة الزهراء (ع) والتي هي ذكرى رسول الله الوحيدة، وهي سيدة نساء العالمين والمجسدة الوحيدة التي تمثل الإسلام للنساء، ما أعظم صبرك يا أمير المؤمنين، فإلى من يشكو ويبث حزنه؟ قبر رسول الله (ص) قريب من المكان الذي دفن أمير المؤمنين فيه فاطمة (ع)، في هذا الوضع يُذكر أنه خاطب رسول الله (ص) قال:

(السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ. قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ. فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى ظلمها، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا وَلَمْ

[1] تحدث به السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) في يوم الجمعة بعد صلاة العصر بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٥ الموافق ٢-٧-٢٠٠٤، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ)[٢]

أشرت سابقا إلى أمر أراه مهما جدا، وهو أننا نساهم في ظلم فاطمة (ع) وإن كان من دون قصد، ولبيان ذلك أقول: الظلم هو أن يُمنع حق أحد أو حق شيء، فحتى الأشياء تُظلم، سُخّرت لي ولك السماوات والأرض لا حبا وكرامة لنا بل لأن نكون قيّمين عليها كعباد لله مسؤولين عن الأشياء، سُخِّرت لنا الأشياء وجُعلت تحت تصرفنا لأن نمنع انحرافها وطغيانها، لأن تبقى آيات الله عز وجل، كل شيء إذا كان في موضعه والناس إذا تعاملوا معه بصورة صحيحة ذكّر الإنسان بالله تبارك وتعالى، فنحن مسؤولون أن نسعى لكي لا تنفلت الأشياء وتطغى فتتحول إلى ملهيات عن وجه الله عز وجل وإلى عقبات في طريق الله، نسعى لأن يكون الوضع بحيث أن الأشياء يتعامل معها الناس كعبيد لله وباسم الله هذه مسؤوليتي أنا وأنت، لكن قد شخص يلهو فبدل أن يعي دوره ومسئوليته ويساهم في أن يرى الناس في الأشياء آيات لله عز وجل بدل ذلك يساهم في إلهاء الناس عن هذا، فلو وضعنا الأشياء في مواضعها وسعينا أن نجعل الناس يتعاملون مع الأشياء كمُسخَّرات لهم وأنهم قيّمون عليها، وليس أن يتعامل الناس أنهم هم المسخّرين لهذه الأشياء، لا أن البيت والمركب مثلا هو الذي يعطي للإنسان شخصيته فإن كانت هذه الأشياء بسيطة شعر بذل وحقارة ولو كانت فارهة شعر باعتزاز وكِبَر

لو كنا نحافظ على هذه الموازنة على أن تكون الأشياء مسخرةً لي ولك ومسخرةً لعباد الله فمن حقي أن آمر الناس بالقسط وآمرهم بالمعروف، ومن حق الناس علي أن أساهم في قيامهم بالقسط لأنني مخلوق مسؤول عن الآخرين، فإذا فعلت ذلك فأنا أكون عادلا وإلا أكون ظالما وما أعطيت الناس حقهم وما أعطيت لنفسي حقها، وما أعطيت للأشياء حقها فالأشياء تتطلب مني أن أضعها في مواضعها، الأشياء التي أستخدمها تقول لي بلسان الحال: انتبه أنت إنسان أكرمك الله وفضّلك على كثير مما خلق لا تهبط لأن أؤثر فيك، فمظاهر الحياة تقول لي لا تظلمني أنا لي حدود أنا لي حق عليك عاملني وفق حقي وإلا ظلمتني سأحتج عليك، كل شيء يشهد على الإنسان لا فقط الجوارح، رواية تنقل عن أمير المؤمنين (ع):

[٢] نهج البلاغة (الخطبة: ٢٠٢)

(ما من يوم يمر على اِبن آدم إلا قال له ذلك اليوم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل في خيرا واعمل في خيرا أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعد هذا أبداً)[٣]

فاطمة (ع) لها حق علينا فلها دور لها موقع لو أنا أعطيتها حقها فهذا عدل، مطلوب مني أن أعاملها حسب موقعها الذي وضعها الله فيه، ولو لا أفعل ذلك لم أبالِ بدورها، ولا تنسَ أن علينا لا فقط أن نعاملها حسب موقعها بل علينا أن نسعى لأن تُعامل كذلك من قِبل جميع الناس

مما يحصل كمعلم رئيس لمعالم العدل المنتظر والذي يحققه المؤمنون تحت ظل الإمام القائم (ع) هو أن تصبح فاطمة الصديقة الكبرى في موقعها الذي وضعها الله فيه سيدة نساء العالمين فعلياً، المطلوب مني ومنك أن نساهم في أن تأخذ فاطمة (ع) دورها الحقيقي، وإلا ظلمنا أنفسنا، ظلمنا الناس والعياذ بالله، من حق الناس أن تكون فاطمة (ع) سيدة نسائهم، لا يمكن أن تتعقل عالما بلا أن يكون هنالك نمط معين من النساء سادة لذلك العالم، من حق الناس علي وعليك أن نربطهم بفاطمة (ع) وأن نسعى لأن ننبههم إلى عالم فيه السيادة لفاطمة (ع)، لو عُرف ذلك العالم لحنّت النفوس إليه، كما في دعاء إبراهيم (ع) (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) هذا من حق الناس علي وعليك، إذا لم نفعل لم نهتم ظلمنا الناس والله سائلنا، إمكانياتنا تطلعاتنا الله ما خلقها عبثا لأن فقط نهتم بأشخاصنا وأنفسنا

إمكانياتنا وتطلعاتنا أكبر من أن تكون حاجات شخصية فقط وإلا نكون ظلمنا فاطمة (ع) والعياذ بالله، ويل لمن كان شفيعه خصمه، يعني حينما نُحشر تحتج علينا فاطمة (ع): أنا جعلني الله لأن أكون سيدة نساء العالمين عانيت أنا وذريتي أُخبرت بأن تاريخي وتاريخ ذريتي مليء بالدم بالمعاناة سجون تشريد قتل تقتيل كل ذلك في سبيل أن يكون لي هذا الدور، حتى لو ما قالت (ع) أو أوصت: أُدفن ليلا حتى لا يحضر جنازتي أناس ليبقى قبري وكيفية دفني مؤشرا أن هنالك حدثا عظيما قد حدث، وأن هذه المؤشرات المفروض أن تلفت نظرك إلى أن الله خلقني لأن يكون لي دور أنت أهملته واكتفيت بذكري وبالبكاء علي وبالتعصب لي فقط، لمَ ظلمتني؟ لمَ لمْ تساهم في بلورة دوري؟ لو فعلت لوجدت هنالك نفوسا تحن إلي تستشفع بي، لمَ لمْ تفعل؟ أتوقع شفاعة فاطمة (ع) وإذا هي والعياذ بالله تقول لمَ ظلمتني؟ أقول: أحببتك يا بنت رسول الله، تقول: لمَ لمْ تعرفني فظلمتني؟ أقول: لم أقصد يا بنت رسول الله، تقول:

[٣] من لا يحضره الفقيه (٣٩٧/٤)

لمَ لمْ تعلم؟ لمَ لمْ تعرف؟ أقول: لدي ظروف! تقول: خلقك الله ربي أكبر من ظروفك كان بإمكانك أن تعرف وتتطلع، لمَ لمْ تفعل؟ فماذا يكون جوابي؟

فكلما كان الشيء عظيما كان عدم إعطائه حقه يكون ظلمه أكبر، أيها الأعزة نستفيد من هذه المناسبة أن نفكر بتلك المعاناة (صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا) تلك المعاناة تلك المصائب في سبيل ماذا؟ ماذا تعطيني غير العاطفة، العاطفة هي موجودة في أي إنسان حتى الطفل، أنا كإنسان عاقل يفترض أني شهدت بوحدانية الله وكررت هذه الشهادة، أتعهد أني أوحدك يا ربي وأشهد بنبوة رسولك (ص)، فأفكر ماذا تعطيني أنا فاطمة (ع) ومعاناتها؟ أم أن تلك المعاناة التي تهدّ الجبال هدّا أن تثمر فيّ فقط التعاطف والبكاء، فهل لذلك عانت الصديقة الطاهرة؟ أم أنها عانت كولية لهذا الأمر؟ فهل أنا وأنت كذلك نسعى؟

لو حصل قيام ونهوض داخلي سوف تنتظم الأمور ويحصل نور وبصيرة ورؤية، نرجو أن يتفضل الله علينا ويرحمنا لأن يقوم كل واحد منا في داخل نفسه ويقول بصدق: يا فاطمة يا بنت رسول الله اشفعي لي فإني لا أريد أن أستفيد منك لشخصي، كذلك لا أريد فقط أن تُقضى حوائجي الشخصية وفي الآخرة أدخل الجنة! يا فاطمة الزهراء اشفعي لي لأن أقوم بدوري لأن لا أظلم نفسي لأن أكون كما خلقني ربي وليا وقيّما ومسؤولا فهنالك أكون معكِ ومع أبيك (ص) ومع أمير المؤمنين (ع) ومع ذريتك (ع) ومع أوليائك، يا فاطمة اشفعي لي هذه الشفاعة هي التي أرغب فيها وأتمناها فإذا تحققت هذه الشفاعة تحققت جميع الأشياء الأخرى. أكتفي بهذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين